

رئيس التحرير المسؤول
العهد منير عقيقي

جوع أم مجاعة؟

يُبقى رصيدها مقبولا لدى شريحة تتلقى المعونات الشهرية في صناديق معلبة، تغلف دائرة ادراكهم ضمن معادلة "القبول افضل من الجوع". لعلنا نستذكر هنا تلهي الناس عن مقاومتهم للفرنسي والعثماني وفرح جمال باشا بمراحل القحط. الجوع يعني الاستسلام للدراك.

جوع الثقافة متجذر في داخل كل مواطن. النقص كبير في اكتشاف الذات، ومعرفة الآخر، وفي مساحة الاختيار. الذي يحصل ان الغرائز غير المنتظمة، والعشوائية العاطفية تجاه زعيم او طائفة او حزب او عقيدة، تُجرد المواطن من فهم حقوقه ومسلمات حياته، ما يضعه في قفص المطيع. ومع تدرج المراحل يصل الى كل المحرمات الانسانية، ومنها حرمة الجوع الذي لم يكن ليصل اليها لو كان متفاعلا مع نفسه، ومتحررا من زاويته. ولو كان بعيدا من جوع الثقافة التي مُنعت اصلا من اشتهاؤها في البدء ليصل الى الشكر على اشباع بطنه حصرا. يبقى جوع المواطنة والانتماء، هو افطع من جوع البطون. جائع البطن يثور ويطمح ويسعى. اما جائع المواطنة فيبيع ويطعن ويخون، وجائع الانتماء يتخلى ويهرب.

ما نشهده في هذه الايام السود عبارة عن "جوع عتيق" قد لا تشبعه الاموال والسلع والوفرة، لان الاساس يبقى في باطن العقل والنفوس، فعبرهما الابتعاد عن الحياة. اما في البطون الخاوية فجوع مرحلي بعده يكون الانطلاق.

مشكلة لبنان المقبلة هي في وصوله الى مرحلة المجاعة، حيث يتوافق الانهيار الاقتصادي مع "التأديب الخارجي" لنا، فنصل الى شهور عجاف لا تتوافر فيها الحاجات اليومية، فيصبح الميسور في خانة المعدوم.

حينئذ نقول ان اللبناني جائع، وان لبنان دخل في المجاعة، مع فارق ان المسبب والمشارك والمستغل ليس العثماني ولا الفرنسي هذه المرة، بل "الزعيم" اللبناني الذي كان الاخطر على وجود هذا الوطن المهدد.

نسأل: في ايام الجوع هذه، لمن المحاسبة؟ ربما الضرب في المواطن لا يجوز، لكنه يبقى المسؤول الاول.

الجوع والمجاعة صفتان متلازمتان، تمهد الاولى للثانية اذا ما توافرت وقائع داخلية وخارجية. وفقا للوقائع، نحن ذاهبون نحو المجاعة ونمرّ مسرعين امام مرحلة الجوع.

قرن مرّ على المجاعة في لبنان. اتت في ظل حربين عالميتين ووسط احتلال عثماني وانتداب فرنسي، انهدت حياة الآلاف من اللبنانيين. واليوم يأتي الجوع المتوغل في سياق نزاعات بعيدة من المتاريس والنار، لكنها لا تقل شراسة عنها.

للجوع تاريخ في لبنان، مرتبط بثقافة العيش وتطور المجتمع. اذ لعب المجتمع القروي بعد الاستقلال دورا مهما في تعزيز الزراعة وتربية المواشي، فكان مفهوم الفقر محصورا في تلك البيئة على الملبس ورفاهية العيش، من دون أن يكون للجوع مكانه. فخيرات الارض كانت تكفي المواسم والفصول مع الفائض.

ما حصل على مر السنوات ان موقع لبنان الجغرافي، وتركيبته الطائفية، ووجوده المرتبط دائما بالنزاعات الاقليمية وصولا الى الحرب الاهلية وبعدها، فرضت متغيرات كثيرة بفعل التهجير والهجرة، وبسبب تركيبة الدولة التي بنيت على اسس السياسة المذهبية وبجميع حيثياتها الاقليمية والدولية. فغابت الخطط الزراعية والصناعية والانتاجية. عاش لبنان في ازدهار مبني على ركائز استيرادية مشروطة في المفهوم الاقتصادي الحقيقي بالتخلي عن المحافظة على قيمة العملة المحلية في مقابل عملات اجنبية تتحكم اليوم بسوقنا المنهارة.

الجوع يسير مع اكثر اللبنانيين في خطوات متقاربة. ما كنا لنصل الى ما وصلنا اليه لو كنا مواطنين حقيقيين تتقدم مواطنتنا على ولاءات موزعة على الزعيم والطائفة والمذهب، ما اعمى بصيرة الغالبية عن المسار الذي نمضي فيه، من دون ان نتحسب لقيام دولة حديثة، ضامنة لنا كافراد وجماعات على حد سواء.

هناك انواع مختلفة من الجوع. جوع الادراك، وجوع التنقيف، وجوع المواطنة والانتماء. اما في جوع البطون فالمشترك لا يزال حتى الآن بعيدا، بسبب العون الذي يقدمه الاغتراب اللبناني، وكذلك لسبب استمرار فئة مجتمعية في استيفاء رواتبها بعملة الدولار الاميركي مع خدمات معيشية ميسرة. اما الجوع الحقيقي فدخل حصرا في بطون الجائعين اصلا، وفي بطون الذين خسروا مصدر رزقهم، او جزءا من مداخيل اعمالهم.

جوع الادراك هو الاخطر، لانه مبني على عدم الوعي. فاستغلال الاحزاب والحركات السياسية للانهيار المستمر

الى العدد المقبل